#32

رواية قصيرة (نوفيلا)

لويس سبولفيدا

قطار باتاغونيا السريع

12.10.2018

ترجمة

إلياس فركوح

أزمنة

رواية

لويس سبولفيدا

قطار باتاغونيا السريع

ترجمـة

إليـاس فركـوح

أزمنة

قطار باتاغونيا السريع

هذه هي الترجمة الكاملة لكتاب

PATAGONIA EXPRESS

Luis Sepulveda

لويس سبولفيدا

قطار باتاغونيا السريع

ترجمة : إلياس فركوح

الطبعة العربية الأولى 2008

أزمنة ®

أزمنة للنشر والتوزيع

تلفاكس : ٥٥٢٢٥٤٤

ص. ب : ٩٥٠٢٥٢ عمّان ١١١٩٥ الأردن

شارع وادي صقرة، عمارة الدوحة، ط ٤

E.Mail:info@azminah.com

Website:http://www.azminah.com

لوحة الغلاف: Mark Rothko (الولايات المتحدة)

تصميم الغلاف: أزمنة (إلياس فركوح)

فرز وسحب الأفلام: زمرد

الترتيب والإخراج الداخلي: أزمنة (نسرين العجو، إحسان الناطور)

الطباعة: مؤسسة مصطفى قانصو للطباعة والتجارة / بيروت

تاريخ الصدور: كانون الثاني/ يناير 2008

لويس سيبولفيدا

Luis Sepulveda

ولد لويس سيبولفيدا عام 1949 في أوفال Ovalle في تشيلي .بعد إنهائه المرحلة الثانوية، درسَ الانتاج المسرحي في الجامعة الوطنيّة .وفي 1969 نال منحةً لإكمال دراسته في الدراما في جامعة موسكو، لكنَّ المنحة سُحبت منه «لسوء سلوكه»؛ إذ كان قد شكّلَ صداقات مع بعض المُنشقّين، فعاد إلى تشيلي.

عُرف عن لويس سيبولفيدا نشاطه السياسي. في البداية كزعيم للحركة الطلابيّة، ثم في حكومة سلفادور اللندي حيث عمل في دائرة الشؤون الثقافيّة، آخذاً على عاتقه نشر سلسلة من الاصدارات رخيصة الثمن لمجموعة أعمال أدبيّة أساسيّة يُتاح شراؤها لعامة الناس .كما عملَ كوسيط بين الحكومة والشركات التشيليّة الكبرى.

بعد الانقلاب العسكري عام 1973 ، الذي جاء بالجنرال أوغستو بينوشيه للسلطة، سُجن سيبولفيدا لمدة سنتين ونصف، ثم أُطلق سراحه نتيجة تدخّل الفرع الألماني لمنظمة أمنستي، بشرط الإقامة الإجبارية في المنزل. لكنه نجح في الهرب وعاد ليعمل تحت الأرض لمدة سنة تقريباً. ثم، وبمساعدة صديق له كان رئيساً للاتحاد الفرنسي في فالباريسو، أسسَ جماعةً مسرحيّةً أصبحت فيما بعد أوّل تركيز ثقافي للمقاومة. غير أنه تعرّضَ للأسر من جديد وحُكم عليه بالسجن مدى الحياة (خُفف بعدها إلى ثمانية عشرة سنة) بتهمة الخيانة والتخريب.

عاد الفرع الألماني لمنظمة امنستي وتدخل ثانيةً ليستبدل الحكم بثمان

سنوات يعيشها في المنفى. وهكذا غادر سيبولفيدا تشيلي عام 1977 على متن طائرة لنقله إلى السويد، حيث من المفترض أن يقوم هناك بتدريس الأدب الاسباني. غير أنه، وفي أوّل محطة توقف في بوينس آيرس، فرَّ ناجحاً في الوصول إلى الأُروغواي. ولكن، ولكون كثير من أصدقائه الأورغوانيين والأرجنتينيين ماتوا أو أُودعوا السجون بسبب الدكتاتورية الحاكمة؛ كان أن توّجه أوّلاً إلى سان باولو في البرازيل ثم إلى بارغواي. وكان عليه أن يغادر من جديد بسبب النظام المحلي الحاكم، ليستقر أخيراً في كويتو Quito في الاكوادور كضيفٍ عند صديقه جورج اينريك أدوم Jorge Enrique Adoum . أدار هناك مسرح الاتحاد الفرنسي، مؤسساً شركة مسرحيّة، ومشاركاً في بعثة اليونسكو لتقييم آثار الاستعمار على هنود الشوار Shuar .

خلال عمله ضمن البعثة، شاركَ سيبولفيدا هنود الشوار حياتهم لمدة سبعة أشهر ليخرج بفهم أميركا اللاتينيّة كقارةٍ متعددة الثقافات واللغات، وأنَّ الماركسيّة ـ اللينينيّة التي تعلّمها لا تتناسب والسكّان الريفيين المعتمدين على البيئة الطبيعية المحيطة بهم. فعمل عن قُرب مع منظمات هنديّة وكتب أوّل خطة تعليم لفيدراليّة إيبامبورا Ibambura الفلاّحيّة في الأنديز.

في عام 1970 انضمَّ للواء سيمون بوليفار الأممي الذي كان يقاتل في نيكاراغوا، وما لبث بعد انتصار الثورة أن بدأ العمل كصحفي لسنتين ليغادر بعدها إلى أوروبا.

توّجه إلى هامبورغ في ألمانيا لتقديره الأدب الألماني (تعلّم اللغة الألمانيّة في السجن) وخاصةً الكُتّاب الرومانسيين كنوفاليس وفردريش هولدرلن، وعمل هناك كصحفي جوّال على نحو واسع في أميركا اللاتينيّة وافريقيا.

باتَ عام 1982 على اتصال بحركة السلام الأخضر، مشتغلاً حتّى 1987 ضمن طاقم إحدى سفنهم . وبعدها، نشطَ كمنسّق بين الفروع المتعددة لهذه المنظمة.

من مؤلفاته:

«قصة طائر النورس والقطة التي علّمها الطيران» ، 1996 .

«تاريخ بيدرو لا أحد»، 1969 .

«الخوف، الحياة، الموت، وهلوسات أُخرى»، 1986 .

«سِجلّ الرحلة»، 1987 .

«العالم عند نهاية العالم»، 1989 .

«العجوز الذي يقرأ قصص الغرام»، 1989 .

«الحدود الأخيرة»، 1994 .

«اسم مصارع الثيران»، 1994 .

«خريطات»، 1997 .

«هوامش تاريخيّة»، 2000 .

«خط ساخن»، 2002 .

1

باتاغونيا : نهاية اقتفاء الأثر

كُنّا في جنوب الأرجنتين، غير بعيدين عن إل بولسيون، وهي بلدة فاتنة تقع على الحدود بين مقاطعتيّ ريو نيجرو وإل تشوبوت. أشجار الحور العملاقة المغطيّة للمقبرة انحنَت للريح. شكّلت أوراقُها قبّةً ضخمة فوق جميع الذين استراحوا هنا؛ أُناسٌ قَدِموا إلى قمة العالم الجنوبيّة هذه مصحوبين بأحلامهم، وطموحاتهم، وآمالهم، وخططهم، وحبهم وكراهيتهم - المُقوّمات الأساسيّة لمرنا المختَصَر على الأرض. جاء هؤلاء الناس بلغاتهم الكثيرة وطُرز ملابسهم المختلفة من كافة أرجاء العالم لمجرد أن ينتهوا في هذه المقبرة المهجورة، والمشرعة للريح، وقد وَحَّدتهُم الأبديّةُ في لغة الموت الكونيّة.

انحنى رجلٌ فوق حجر أحد القبور، مستبدلاً بضعة ورود ذابلة. ثمة سيجارة تتدلّى بين شفتيه.

«يقـولـون بأنَّ مـارتن شيـفـيلدز مـدفـونٌ هنا ، » ، بدأتُ الحديث .

«الشريف . نعم ، ذلك الرجل غير الطيّب موجود هنا . »

يمكن لملامح هذا الرجل أن تمنحه أي عُمْر . فوجهه ، المسفوع بالريح والشمس ، كان غامضاً .

«هل تعرف مكان قبره؟» ، أصَرّيتُ .

«طبعاً ، لكننا لا نستطيع مهاجمته . لقد دفنوه مع مسدسيه الكولت وهمـا في يديه . كـان بإمكان ابن الزنا وبمزاجٍ سيء أن يقذف بنا إلى الجحيم . » أجاب ، سالكاً نحو الطريق .

وصلَ مـارتن شيـفـيلدز إلى باتاغـونيـا في بداية القـرن العشرين . تكلّمَ باسبانيّة غير مصقولة وخليطة . كـانت ممتلكاته الوحيدة عبارة عن مسدسيّ كولت رائعين ، يتدليان منخفضين على جَنبيه ، وحصان أبيض مجهّز بطقم جيد وبسرج تكساسي ممتاز ، ونجمة الشريف مثبتة بدبوس إلىّ صدره . كان خارجا للتـو من قـصص الغـرب الأمـيـركـي لمـارسـيـل لافـونتـي ايستيفانيا(1) .

«إنه هناك في الأسفل ، » قـال الرجل ، مشيراً إلى قبرٍ بلا

---

(1) Marcel Lafuente Estefania : مـؤلف اسـبـاني شـعـبـي كـتـبَ بـين 1939 - 1984 آلاف الروايات التي تدور في غرب أميـركي متخيّل . (هامش الرواية) .

اسم، مضيفاً: «وأرجو أن يبقى مكانه.»

كان القبر مغطّى بطبقة تراب أحمر متحجّر تقريباً، ومُزيَّن بزهرة ربيع [2] بلاستيكيّة واحدة ببتلات نالتها الخدوش. إنَّ ذلك ليس كافياً ليكون مَعْلَماً على المُستَقَر الأخير لأسطورة باتاغونيّة عظيمة.

من المرجّح أن يكون شيفيلدز قد مات عام 1939. لا أحد يعرف ذلك على نحو أكيد. كُتِبَت سِيَرٌ بُنيت على الأقاويل من قِبَل مؤلفين استولوا على تاريخ المنطقة. لكنَّ الأساطير، والخرافات، والحقائق في باتاغونيا تتغيّر مع الريح، والتاريخ أصلٌ شفاهيٌ يختلف عن ذاك التتابع العلمي والحقائق الموضوعيّة [3]؛ وإنه لمبررٌ من أجل المبالغة بتطريز حكاية تُروى عند الموقد يتخللها كوبٌ من الماتّي[4].

---

(2) daisy: زهرة من الفصيلة المركبة. (المورد)

(3) انظرْ كتاب بروس تشاتوين Bruce Chatwin: «في باتاغونيا»، كيب، لندن، 1977. (هامش الرواية)

(4) maté: الماتّي: شراب شبيه بالشاي منتشر في أميركا الجنوبيّة خاصةً. (المورد)

2

قبر بلا اسم
وزهرة ربيع بلاستيكيّة

قال البعض أنَّ شيفيلدز قُتل. آخرون زعموا أنه ماتَ فوق سرج حصانه بعد إصابته بسكتة قلبيّة بينما ينقّب عن الذهب في مئات الأنهار المتساقطة من بحيرات الأنديان. بصرف النظر عن سبب الوفاة، فلقد عُثر على جسده بواسطة سائقي بغال بعد عدة أسابيع. يبلغ طوله ستة أقدام ويَزِنُ أكثر من 100 كيلو، وكانت النسور بما فيها نسور الكوندور الأميركيّة الضخمة قد تَغَذَّت عليه. اخترقت ملابسه الشتوية السميكة لتصلَ إلى الأحشاء وعَرَّت الجثة، غير مُبقيّة سوى على المسدسين في يديه. هكذا عرفَ سائقو البِغال أنَّ الهيكل العظمي هيكله هو. وبحسب الأصول المرعيّة عند رجالٍ منعزلين يرتحلون وحدهم، قاموا بتغطيّة البقايا بالحجارة. بقيت العظام هناك عند نهر لاس ميناس حتّى عام 1959، حين قررَ واحدٌ من أبنائه الـ 12 الذين أنجبهم من ماريا بيتشوين، وهي هنديّة فطريّة مابوتشيّة لا يزال اسمها يُرعب السكّان المحليين، أن ينقلها إلى المقبرة في إل بولسيون.

قيلَ عن بيتشوين أنها كانت طويلة وقوية مثل شيفيلدز. عندما كانت تدخل إلى الحانة، يقف الرجال الجالسون إلى طاولاتهم فوراً تجنباً للتوبيخات المخيفة التي تكيلها لشفيلدز، والتي غالباً ما يتلقاها ببرود. ومن على مسافة آمنة، يرقبونها وهي تحمله إلى الخارج وتقذف به فوق حصانه.

«لا أحد يجرؤ على لمس أوراق اللعب الخاصة به»، تُرعدُ مهددة:

«سوف يضع فيَّ طفلاً آخر ويعود على الفور.»

لم يكن من المفترض أن ينجو هيكل شيفيلدز العظمي المنقول على الشاحنة الذاهبة إلى إل بولسيون المتقلقلة بين الحُفَر الغائرة في طُرُق باتاغونيا. لقد تفككَ إلى أجزاء، لكنَّ مسدسا الكولت ظَلاّ في يديه. ثمة زهرة ربيع بلاستيكيّة فوق القبر، أما نجمة الشريف؛ فداخل علبة زجاجيّة في متحف سان كارلوس دي بارلوتشي؛ ذلك كل ما تبقّى. غير أنه تركَ قصةً، مثلها مثل جميع قصص العصابات والمغامرين، عملت على تسليّة وإبهار المستمعين، مثلما سببت الاختلاف بينهم.

زعمَ البعض أنَّ شيفيلدز وُلِدَ في بالتيمور، والبعض الآخر قال في توم غرين، تكساس. أما الوثائقُ في أرشيف وكالة بنكرتون للتحقيقات، فتُظهِر بأنه أمضى شبابه في يوتا. كان راعي بقر عادياً لكنه بارع باستخدام المسدس على نحو غير

مألوف؛ كما شهدَ عملية إبادة «الزمرة الوحشيّة» ـ عصابة سرقة البنوك والقطارات التي ضمّت المشاهير بلاك جاك كيتشوم، وهاري تريسي، و«بو 8» لوغان (الذي كتبَ قصائد ملحميّة عن أعمال الزمرة الجريئة ومآثرها)، وفلات نوز كري، وبَتش كاسيدي.

3

اقتفاء أثر بُتش كاسيدي

عند نهاية 1898 نجحَ عملاء وكالة بنكرتون في فرض قانون الأقوى - أصحاب المواشي وشركات السكك الحديديّة - على كامل براري الغرب الأميركي، ملقيةً القبض تقريباً على جميع الخارجين عن القانون، أوقتلهم. لكنهم لم يقبضوا على أخطرهم، بُتش كاسيدي.

وفي عام 1901 تناهى إلى عِلم وكالة بنكرتون أنَّ كاسيدي غادر الولايات المتحدة مبحراً على متن سفينة بخاريّة بريطانيّة، الجندي الأمير، التي تذرع في رحلتها المسافةَ بين نيويورك وصحن نهر البرازيل، وأنه كان متوجهاً إلى بوينس آيرس. كان كاسيدي مسافراً برفقة مُدَرِّسَة تُدعى إيتّا بليس، ورجل بلا سِجِّل لدى دوائر الشرطة أطلقَ على نفسه لقب ابن رقصة الشمس. فما كان من الوكالة إلاّ أن أرسلَت على الفور تحرياً يتعقبهم. أُوكلت المهمة إلى أميركي من أصل ايطالي يُدعى فرانك ديمانو.

سرعان ما وصلَ ديمانو إلى بوينس آيرس، واكتشف بأنَّ الثلاثة اشتروا 15.000 أكر (5) بالقرب من تشوليلا في باتاغونيا. وبينما كان يتأهب للتوجّه نحو الجنوب الأقصى، فتنتهُ العاصمة الأرجنتينيّة بجاذبيتها وسحرها، وتعرّفَ على شابة جميلة من أصل ايطالي، وشعرَ بنداء حياة الاستقرار، فلبّاه. تخلّى عن عمله مع وكالة بنكرتون، واستقرّ في الأرجنتين ممتهناً بيع الأحذية. (ناحية سان تيلمو التابعة لبوينس آيرس، بعد الميدان حيث يُقام أفضل سوق عالمي للقطع الأثريّة كل يوم أحد، بإمكانك أن تشاهد حتّى عام 1976 محلاً يُدعى أحذية ديمانو، وفي واجهته خلف الزجاج عُرضت بافتخار الشارة التحريّة لمؤسسه. ففي أميركا اللاتينيّة دائماً ما يُحبطُ القَدَرُ إرادةَ اليانكي (6).

وفي عام 1901، أبرمَ مارتن شيفيلدز صفقةً مع وكالة بنكرتون.

قيل بأنَّ توظيفه تمَ عبر ممثّل الوكالة في هيوستن، تكساس؛ أو ربما تم إدراجه ضمن جدول الرواتب في سان فرانسيسكو، حيث كان يمضي فترة محكوميّة قصيرة بتهمة التشرّد الدائم. على أية حال، كان مبلغ الخمسين ألف دولاراً قيمة جائزة

(5) acre: مساحة تعادل نحو أربعة آلاف متر مربع. (المورد)

(6) yankee: التعبير الدارج لوصف الأميركي الشمالي لدى الأميركيين الجنوبيين. (المترجم)

القبض على بُتش كاسيدي قد أدّى به لأن يتوّجه إلى الأرجنتين.

وصلَ إلى بوينس آيرس في 6 شباط/ فبراير 1902. وفي سِجّلات فندق المرفأ، حيث أقامَ آلاف المهاجرين بين 1830 و 1960، كتبَ: «مارتن شيفيلدز، شريف في الولايات المتحدة». ربما عملَ على تلميع النجمة الفضيّة التي سرقها قبل بضع سنوات من شريف مخمور في مونتانا. ولا بُدَّ أنه سألَ باسبانيّته غير المصقولة عن كيف يمكن للمرء أن يذهب إلى باتاغونيا.

لا يزال الكوخ الخشبي الذي بناه كُلٌ من ايتّا بليس، وبُتش كاسيدي، وابن رقصة الشمس، قريباً من تشوليلا قائماً، ويبدو متيناً بما يكفي لأن يبقى هكذا لعدة سنوات أُخرى. وللمفارقة؛ إنَّ العائلة التي تعيش فيه الآن تُدعى سيبولفيدا! وذات ظهيرة عاصفة، جلستُ برفقة صديقي المصوِّر دانيال موردزينسكي نتحدث ونشرب الماتّي مع علاء الدين سيبولفيدا، كبير العائلة، وهو عجوز يتصف بمظهر طفولي بريء ومَكْر ثعلب.

«لقد عَثرَ عليهم بكل تأكيد. جاء إلى هنا وتحدث معهم. لم أكن قد وُلدتُ حينذاك، وإني بلغتُ الآن ألـ 84، لكنَّ أبي أخبرني بما حصل. لا بُدَّ أنه حدث في 1907. جاء شيفيلدز

ممتطياً حصانه الأبيض. لم يكن ليقتني حصاناً بلونٍ آخر. عندما وصلَ إلى السياج صرخَ:

«بُتش! رقصة الشمس!»

فردّ عليه الاثنان بالاسبانيّة بأنَّ اسميهما بيدرو وخوزيه. ضحكَ شيفيلدز بقوة إلى درجة كاد يسقط عن الحصان. ثم أخذوا ثلاثتهم يتحدثون باليانكي.»

لن يكون بوسعنا أبداً معرفة ما تحدثوا به. لكن ينبغي أن يكونوا قد توصلوا إلى اتفاقٍ ما، لأنَّ برقيات شيفيلدز المرسلَة لوكالة بنكرتون بين 1902 و1905 كانت تحمل دائماً الإفادة نفسها: «الأرجنتين بَلَدٌ هائل وإني أقتفي أثرهم.»

في عام 1905 وصلَ مسافرٌ أميركي تحت اسم أندرو دوفي إلى الكوخ الخشبي في تشوليلا. كان اسمه الحقيقي هارفي لوغان، وكان أحد الأعضاء المؤسسين «للزمرة الوحشيّة»، والذي فَرَّ من سجنه عام 1903 في كنوكسفيل، تينيسي، مخلّفاً وراءه أربعة قتلى من الحُرّاس. ثم قام أربعتهم؛ بُتش كاسيدي، وايتّا بليس، وابن رقصة الشمس، والوافد الجديد بالسطو على «بنكو دل سور» في مقاطعة سانتا كروز. وكان شيفيلدز أثناءها يسجّل ملاحظات لم يرسلها إلى وكالة بنكرتون على الإطلاق.

جوي جيغليان، نيوزيلندي جامع متحمس لتذكارات بُتْش كـاسـيـدي، يعـيش في جـزيرة حِـذاء السـاحـل التـشـيلي لأغوانيكاس أرتشيبيلا - أراني دفتر ملاحظات بغلاف جلدي أحمر قالَ بأنه يعود إلى مارتن شيفيلدز. ثمة ملاحظة مؤرخة بتشرين الثاني/ أكتوبر 1907 تقول:

«كان بإمكاني إطلاق النار عليهم وقتلهم عندما خرجوا يحملون أموال الويلزيين[7]، لكنني لم أفعل» وفي عام 1907 سطا الرجال الأربعة والمرأة على البنك الوطني في فيلا ميرسيدس، وهي عمليّة سطو تحوّلَت لتكون أمراً خطيراً عندما أطلق هارفي لوغان الرصاص على المدير وأرداه قتيلاً. يفيد دفتر ملاحظات شيفيلدز:

«لم أتبيّن المرأةَ في البداية لأنها كانت ترتدي ثياباً كالرجال. القتلُ سوف يسبب لنا المشاكل.»

(7) بدأ المزارعون الويلزيون يستقرون في (تشوبوت فاليت)/ وادي تشوبوت، عام 1865، ونجحوا في المحافظة على لغتهم وعاداتهم حتّى اليوم. (هامش الرواية)

4

صفقة سِرّيّة

مع أننا لا نعـرف أطوار الصـفـقـة التي أُبرِمَت في الكوخ الخشبي، إلاّ أنها، كما يبدو، انتهت إلى أنَّ جزءاً مما جُمِع من السطو على البنك قد دُفِعَ ثمناً لصمت شيفيلدز ومهادنته؛ ما دام أنه اشترى، عام 1907، 12.000 أكر من الأراضي الجيدة بالقرب من إل ميتين في مقاطعة تشوبوت. لا بُدَّ أنها كانت مساومةً قاسية. ولو كان لوغان حاضراً، لكانت أربع حصص مقابل حصّة واحدة - أربعة أوزان ثقيلة مقابل مُسدسيّ كولت 45 حاذقين.

والد علاء الدين سيبولفيدا أخبره بأنَّ المفاوضات بين شيفيلدز والخارجين عن القانون استمرّت عدة أيام وليالٍ. ثَمُلَ الجميع، صرخوا وزعقوا، ضحكوا وشتموا بعضهم بعضاً بالتناوب بلغةٍ لم يفهمها العجوز. وأخيراً، امتطى الشريف حصانه الأبيض ومضى.

«أتريد أن تعرف بماذا أفكِّر؟»، سألني علاء الدين.

«بالتأكيد،» قلتُ، بينما أنزع بضعة أعواد من الخشب في الحائط المصنوع من جذوع الشجر، كنتُ أحتفظ بها في يدي.

«أخبرهم شيفيلدز بأنه لا يريد أي عمليّة قتل. فالموتى دائماً ما يسببون المشاكل. حتّى أكثر الأشخاص في العالم اتصافاً بعدم الأذى، عندما يموت، فإنه يعمل على تعقيد الأمور للذين حوله.»

هنالك طريقتان فقط لترك بصمتك في عالم الأعمال المصرفيّة: أن تكون مديراً في بدلةٍ أنيقة وربطة عنق، أو لِصّاً مسلّحاً.

بعد عمليّة السطو على البنك في فيلا ميرسيدس، تخلّى كُلٌّ من بُتش كاسيدي، وابن رقصة الشمس، وايتّا بليس، بالتدريج، عن أنشطتهم الاقتصاديّة. اختفى هارفي لوغان من دون أن يترك أثراً. عادت ايتّا بليس سِرّاً إلى الولايات المتحدة، لتموت هناك بالسرطان. أما بُتش كاسيدي ورقصة الشمس؛ فلقد باعا أملاكهما في تشوليلا وتوّجها صوب الجنوب أكثر، رحلا إلى حافة العالم. وباجتيازهما لمضائق ماجلان، توغّلا عميقاً داخل تيرّا دل فويغو، حيث دخلا طور كونهما يشكلان اسطورةً محليّةً كمحاربَين عريقين يسطوان على البنوك ومكاتب الضرائب لتمويل ثوراتٍ فوضويّة.

قبرٌ بلا اسم وزهرة ربيع بلاستيكيّة. هذا كل ما تركه الشريف في باتاغونيا.

«أهنالك مَن لا يزال حيّاً يمكن أن يكون قد عرفه؟»، سألتُ الرجلَ صاحب السيجارة المتدليّة.

«إحدى بنات ابن الزِنا لا تزال حيّة،»، أجابَ بإعجابٍ واحتقار في الوقت نفسه.

في اليوم التالي عزمنا على زيارة الإبنة.

عرفنا، بينما نجلسُ مستريحيَن على أضلاع المقاعد الخشبيّة في قطار باتاغونيا السريع القديم، عن العلاقة العمليّة لشفيلدز مع شركة السكة الحديديّة. بدأ العمل بخط موركوينزو- إل ميتين عام 1933، وكانت خِراف شيفيلدز مصدر غذاء العشرات من جماعات العمّال. أحَبَّ الشريف أن يُبْهِرَ الرجال بمهارته في استخدام المسدس. كان بمقدوره إصابة سيجارة وهي في فم شاب حديث العهد بالتدخين، أو سَفْع شارب برصاصة، مهما كانت المسافة، بمسدسه الكولت 45. وعندما انتهت أعمال التأسيس والبناء، تبرّعَ شيفيلدز بستة عجول وثلاث دزينات من الخِراف لإقامة حفل الشِواء الاحتفالي. ولقد عثرتُ على عدة أُناس من العجائز في إل ميتين- ايسكويل، وليليك وتشوليلا، لا يزالون يتذكرون كَرَم اليانكي. غير أنَّ عدم مبالاته بالمال، وحجم العائلة التي أنجبها

وتبنّاها في الجنوب البعيد، عملا على إفلاسه. كان يبحث منقبّاً عن الذهب عندما مات، أو قُتل.

تحرّكَ قطارنا ببطء. عرض السكة الحديديّة الضيّق جعل السرعة محددة بـ 40 كلم بالساعة. نفثَ المحرّك البخاري القديم مثل تِنّينٍ مُنْهَك، مخلّفاً ذيلاً كثيفاً من الدخان سرعان ما بددته ريحٌ قاسية. كانت المقطورة تتأرجح بلطف، مهدهدةً المسافرين مُنَوِّمةً إيّاهم ومحوّلةً تبادل الحديث بينهم ليكون همساً.

«هل يعني لكَ اسم مارتن شيفيلدز شيئاً؟»، سألتُ رجلاً عجوزاً، عرض عليَّ على الفور جرعةً من الماتّي.

«طبعاً!»، أجابني، متقبلاً سيجارة: «أسموه الذئب الأبيض.»

«حَدّثني عنه.»

«كان متوحداً. كان لديه أصدقاء كُثر، وأبناء كُثر، لكنه كان وحيداً. لم يعرف أحد أبداً من أين جاء بالمال الذي اشترى به أراضيه، والتي خسرها في النهاية. يقولون بأنه جاء إلى هنا ليقبض على عصابة لصوص من اليانكي، لكنه لم يمضِ بالمهمة. كان رامياً بارعاً بالمسدس. عندما يثمل يراهن على أفعالٍ خرقاء. كان يراهن على أنَّ باستطاعته إصابة أعقاب أحذيةِ النساء، وفَعَلها حقاً. وإذا ما اعترضَ زوجها أو صديقها، كان يهديهما نعجتين، وهكذا تنتهي المسألة. امتلكَ

100,000 خروفاً في زمنٍ كان الصوف فيه يساوي وزنه ذهباً، لكنه كان يلبس ثياباً كمتشرِّد.

«تنقلَ من مكان إلى مكان، ودائماً لوحده. كان يمتطي حصانه الأبيض من تشوليلا إلى ايسكويل، من نوركوينزو إلى بروتيزويلو، ودائماً لوحده. يتوقف ليدخلَ حانةً ما، يخسر في لعبة القمار، ويسرف في شرب الخمر بصحبة فتاة تجلس في حضنه. ثم تراه فجأةً يبتعد ويشرب وحيداً في إحدى الزوايا. كان مهجوراً حقاً. ليس لأنَّ زوجته أو أبناءه هجروه وتخلّوا عنه: لقد هجرَ هو نفسه متخلّياً عنها. رجلٌ غريب، ومنعزل، ومع ذلك جاهز على الدوام لخلق الفكاهة والضحك. هل سمعتَ عن البَلْصُور؟»(8)

(8) Plesiosaurus : ديناصور مائي يبلغ طوله 12 متراً، وله رقبة طويلة جداً ورأس صغير. (هامش الرواية) ـ زحافة بحرية منقرضة. (المورد)

5

خدعة البَلْصور

كانت خدعته الكبرى.

ففي عام 1922 كتبَ لمدير حديقة حيوان بوينس أيرس تقريراً عن وجود مخلوق ضخم في مياه البحيرة السوداء في جبال الأنديز. بدا وصفُه التفصيلي دقيقاً إلى درجة اقتنع العلماء واختصاصيو الطبيعة بأنَّ المخلوق كان بَلْصوُراً، كائناً ناجياً من حيوانات ما قبل التاريخ. انتشرت الأنباء بسرعة حول العالم. تنامت الإثارة وازدادت الانفعالات. هددَ وارن هاردنغ [9]، رئيس الولايات المتحدة الجمهوري، الأرجنتينَ بالانتقام إلاّ إذا تركت السلطات المحليّة أمرَ حماية ودراسة البلصور الباتاغوني لمؤسسة سميثسونيان في واشنطن. وأعلنَ الملك جورج الخامس بأنه لأمرٌ غير قابل للنقاش والقائم على أنَّ البلصور ينبغي فحصه أوّلاً من قِبَل طاقم العلماء التابع

---

(9) Warren Gamaliel Harding (1865 - 1923)، رئيس الولايات المتحدة الـ 29 من (1921 - 1923). اشتغل محرراً وناشراً. (المترجم)

للمتحف البريطاني. حتّى أنَّ أُغنيةً تم ارتجالها حينذاك اسمها: تانغو البلصور.

وأخيراً، وصلَت مجموعات من العلماء إلى بوينس آيرس، عازمةً على وضع أياديها على البلصور، واندفعت نحو باتاغونيا، تدوس الواحدة على أعقاب الأُخرى، وتعترض بعضها بعضاً، لتكتشفَ بأنّ المخلوق المُتَمَشّل من البحيرة السوداء ليس سوى جذع شجرة غُلِّفَ بجلد بقرة. اعتبرَ أهالي باتاغونيا الخدعةَ أمراً فكهاً ولا يزالون يضحكون عليه، غير أنَّ لا العلماء ولا السلطات الأرجنتينيّة رأت الجانبَ الفَكه في الأمر.

غادرنا قطار باتاغونيا السريع في إل ميتين، وتدرجنا هابطين طريقاً مُغبّراً باتجاه بيت جوانا شيفيلدز، آخر بنات المغامر الأحياء. نغلَ الغبار في حلقينا مما دفعنا للخوف على الكاميرات. وللمحافظة على ارتفاع معنوياتنا، أخذتُ ومووردزنسكي نغنّي أشهر أغاني جورج ألفرون «الأورغواي ليست نهراً، إنها سماءٌ زرقاء عائمة» بأعلى صوت نستطيعه، لنؤنّب بذلك نعيبَ النسور الغريبة التي يطلق عليها الأهالي المحليون اسم «تيروس». استغرقت منّا المسافةُ ساعتين لنصلَ البيتَ الذي بناه شيفيلدز لابنته جوانا.

كان منظر البيت خرافيّاً؛ إذ هو مُحاطٌ بأشجار البلوط،

والسّاج الضخمة، والحور. فاحَ الهواءُ برائحة الغابات العذراء لجبال الأنديز الباتاغونيّة، وروث الحيوانات وافرة الصِحّة، وأضمومات الأعشاب العطريّة الطبيّة الطالعة من الأرض.

جوانا شيفيلدز في الـ 86، تتحلّى بصحة جيدة، وتمشي مستعينةً بعكّاز، لكنها تتمالك جسدها ليكون منتصباً. كان وجهها بملامح باتاغونيّة عميقة، ومحفورٌ بعلامات كل ما أحبّته وما كرهته طوال حياتها؛ كانت ابنةَ أُمٍ مابوتشيّة وأبٍ يانكي يتحدر، هو نفسه، من أسلافٍ مختلطينَ.

طلَبت مني أن أجلس مقابلها وقدّمَت لي شراب الماتّي في قحفة يقطين. وبينما تمسّد على ياقتها وشعرها، الذي جمعته خلف رأسها على هيئة كعكة، سألَت عمّا جاء بنا إلى هنا.

«أخبرينا عن أبيكِ.»، قلتُ.

«مارتن شيفيلدز. الشريف. بنى هذا البيت وبنى بيوتاً أُخرى كثيرة. كان رجلاً حقيقياً، ولقد أحبّوه وكرهوه لهذا السبب. لم يكن سهلاً في أي وقت أن يكون المرء رجلاً.»

«رجلاً أحَبَّ الفكاهة الجيدة.»

«كلام فارغ! كان لديه حِسّ الفكاهة، لكنه لم يسبب أذىً لأي كان. عندما يثمل، يقوم بمراهنات غبيّة. وإذا كان هدفه أبعدَ؛ فلعلّه أطلق الرصاص على أنف رجل أخرق، لكنه لم يقصد أبداً التسبب بأي أذى.»

«البعض يقول الأنف . . والبقيّة من الرأس أيضاً . »

«وماذا في الأمر؟ هكذا كانت الحياة وقتها . لم تكن سهلة . لم تكن الحياة سهلةً أبداً في باتاغونيا . مثلها مثل أي مكان آخر؛ فأنتَ تعيش، وكذا أنتَ تموت . ماتَ وحيداً . ماتَ كرجلٍ حقيقي . »

« زرنا قبره . إنه مهجورٌ تقريباً . »

«كان إحضار عظامه إلى هذه المقبرة خطأً . كان ينبغي تركها عند نهر لاس ميناس حيث عُثر عليها . لكنَّ الأبناء والبنات ضعفاء . لم يعد هنالك من رجالٍ مثل أبي، وأفضل طريقة لإبداء احترامه هي في عدم الذهاب إلى المقبرة . »

قبل أن نغادر، جلبت لنا خبزاً، لا يزال دافئاً من الفرن، وبيضاً مسلوقاً جيداً للرحلة . إنَّ العناية اللطيفة في توضيبها داخل قطعة القماش تناقضُ خشونةَ كلماتها وقسوة إلحاحاتها .

ما إن أخذنا طريقنا عائدين، حتّى كانت الغيوم تتجمّع . (كل مسافر يعرف بأنَّ الطريق مرصوفٌ بالمفاجآت .) بعد مضي نصف ساعة انفتحت طاقات السماء وانتقعَ الوادي العظيم بالأمطار الجارية . ولم تمضِ سوى دقائق حتّى عبرنا تحت قوس قُزح هائل . وحين وصلنا الطريق المؤدي إلى تشوليلا، أخذت مجموعة من الفرسان تعدو بخيولها في البعيد، وكان أحدهم

يمتطي منفرج الساقين حصاناً أبيض .

تساءلتُ إنْ كانوا يعدون بخيولهم عبر هذا العالم ، أم ذاك التالي .

هل لدى الرجل الممتطي الحصان الأبيض نجمةً فضيّةً مثبّتةً في طيّة صدر سترته؟

روائي في المنفى

اجرى الحوار : Bernard Magnier

ترجمة : إلياس فركوح

عُرف الروائي التشيلي لويس سيبولفيدا على نطاق العالم كمدافع عن الحرية والبيئة ، كما دخل تجربة السجن والمنفى. في هذا الحوار يتحدث عن عمله حيث يتلازم فيه كلٌ من الالتزام السياسي ورغبة الكتابة.

أيّ ضرب من الطفولة عشتها؟

كنتُ محظوظاً بما يكفي ليكون لي طفولة طبيعيّة في عائلة متشربة روح الفضول والمعرفة، والتي وفرّت لي الدافع والفرصة للسفر. اعتدتُ، منذ كنت في الرابعة عشرة من عمري، على قضاء أيام إجازاتي متجوّلاً في أنحاء تشيلي - التي تبلغ خمسة آلاف كلم من الشمال إلى الجنوب - وفي البلدان المجاورة: البيرو، وبوليفيا، والأرجنتين، وبورغواي.

وماذا عن دراستك؟

بعد المرحلة الثانوية في سانتياغو، درستُ الانتاج المسرحي في الجامعة الوطنيّة. وفي عام 1969 مُنحتُ بعثة لمدة خمس سنوات لإكمال دراستي للمسرح في جامعة موسكو، لكنها سُحبت بعد خمسة شهور بحجة «السلوك السيء» - إذ شكّلتُ صداقات مع بعض المُنشقين، والذين كانوا، في رأيي، ينتجون الفن الأفضل في الاتحاد السوفياتي. وكان عليّ العودة إلى تشيلي.

كيف أصبحتَ كاتباً؟

من خلال القراءة، وخاصةً قراءتي لمؤلفي المغامرات العظماء أمثال جول فيرن، وجاك لندن، وروبرت لويس ستيفنسون. قرأنا الكثير في البيت. كان جدي، وهو من أصول اسبانيّة ويحبّ الكتب، يملكُ مكتبةً صغيرة. أعتقد أنَّ الرغبة بالكتابة تأتت من قراءة فرانسيسكو كولوانا، وهو كاتب تشيلي.

ماذا كان كتابك الأوّل؟

صدر عام 1966، مجموعة أشعار صِبيانيّة سيئة للغاية لن أعيد نشرها أبداً. مضيتُ بالكتابة لأنني اكتسبتُ تذوقاً لها، ولكن من دون أن أصدّق نفسي أنني كاتب. ثم كان أن جاء صديق لي ذات يوم وجمعَ دزينة من قصصي في كتاب، «تاريخ بيدرو لا أحد»، وبعث به إلى كوبا، حيث فاز بجائزة كاسا دي لاس أميركاس عام

1969. وبعد ذلك، نُشر في كولومبيا والأرجنتين، ثم بدأتُ أُعْرَف عبر أميركا اللاتينيّة. أصبحتُ كاتباً من خلال قوة الظروف !كما كنتُ أكتب للمسرح والاذاعة، والتي أعتقد بأنها كانت تمريناً ممتازاً بالنسبة لكاتبٍ مثلي، وذلك لضرورة الالتزام بالمواعيد المضبوطة.

كان لكَ دوراً سياسياً في الوقت نفسه ...

بينما أكتب كنتُ كذلك ناشطاً سياسياً، في البداية كقائد لحركة الطلاب، ثم في إدارة سلفادور أللندي، وخاصةً في قسم الشؤون الثقافيّة. عملتُ كوسيط بين الحكومة والشركات الكبرى، كما اشتغلتُ لصالح الشؤون الثقافيّة. كنتُ مكّلَفاً بسلسلة إصدارات رخيصة الثمن لأعمالٍ كلاسيكيّة من الأدب العالمي تتاح للجمهور العريض.

ثم كان أن وقع انقلاب 1973...

سُجِنتُ لمدة سنتين ونصف. أُطلق سراحي بشروط عبر مساعي الفرع الألماني لمنظمة أمنستي الدوليّة، لكنني وُضعت ضمن الإقامة الجبريّة في البيت. تدبرتُ أمرَ الفرار وعملت تحت الأرض لسنة تقريباً. وبمساعدة صديق لي كان رئيساً لـ Alliance Francaise في فالاباراايسو استطعتُ العثور على عمل.شكّلنا مجموعة مسرحيّة أصبحت أوّل تركيز ثقافي للمقاومة، لكنني اعتقلتُ ثانية وحُكم عليّ بالمؤبد بتهمة الخيانة والتخريب، وأخيراً استبدلوه بثمان وعشرين سنة، والفضل في ذلك يعود لمحامي الدفاع.

في ذلك الوقت عوملت وسُجنت على نحو تام ...

لا، في الحقيقة تدخل الفرع الألماني لمنظمة أمنستي الدوليّة ثانيةً لصالحي، واستبدل حكم السجن بالنفي لثمان سنوات، وهكذا، وفي عام 1977 خرجت من السجن إلى المطار متوجهاً إلى السويد، حيث يفترض أن أعمل بتدريس الأدب الاسباني. وكان أن فررتُ في أوّل محطة توقُّف في بوينس آيرس.

تلك كانت بداية لمنفى طويل ...

نعم. ذهبتُ أولاً إلى الأروغواي، لكن كثيراً من أصدقائي هناك، كما هو الحال في الأرجنتين، قضوا نحبهم أو سُجنوا، ولذلك توجهتُ للبرازيل، إلى سان باولو، غير أنه كان عليَّ المغادرة إلى البارغواي حيث لم يكن باستطاعتي البقاء هناك بسبب النظام الدكتاتوري. ومن هناك ذهبتُ إلى بوليفيا ثم إلى البيرو، وأخيراً كان استقراري في الاكوادور لدى صديق عظيم، الروائي والشاعر خورخي إنريك أدوم، الذي دعاني لعقد اجتماع للكتّاب الاميركيين اللاتينيين هناك.كنتُ في كويتو مدير مسرح الـ Alliance Francaise وأسستُ شركةً مسرحيّةً، ثم صرتُ عضواً ضمن بعثة اليونسكو للبحث في تأثير الاستيطان الاستعماري على هنود الشوار.

هل شكّلَ ذلك أي أهميّة لكَ؟

شكّلَ أهميّة قصوى. لقد شاركتُ الشوار حياتهم لمدة سبعة

شهور. كانت تجربة حاسمة غيّرت كامل نظرتي. فجأةً تبيّن لي ما الذي يعنيه حقاً أن تكون اميركياً لاتينياً، أن تنتمي لقارةٍ مختلطة الثقافات واللغات - أكثر من تسعين لغة، دون ذكر الاسبانيّة والبرتغاليّة - مع فهمها الخاص للزمن والتاريخ، ومع طقوسها وشعائرها الخاصّة. أدركتُ بأنَّ الماركسيّة - اللينينيّة التي تربيتُ عليها لم تكن الوصفة المناسبة لقارةٍ يتكون سكّانها أساساً من الفلاحين ويقيمون علاقة مباشرة ولصيقة مع الطبيعة معتمدين عليها ومحتمين بها. عملتُ باتصالٍ مع المنظمات الهنديّة وأنجزتُ أوّل خطة تعليمٍ أدبيّة لفيدراليّة الايبامبورا الفلاّحيّة، في الأنديز.

ثم غادرتَ ثانيةً إلى بلد آخر...

نعم، لكنني تابعتُ كتابة القصص القصيرة طوال الوقت وكان لدي خططاً لكتابة أعمال أطول. وفي 1979، انضممتُ للواء سيمون بوليفار الأممي، الذي كان يقاتل في نيكاراغوا. ومباشرةً بعد انتصار الثورة، بدأتُ أعمل كصحفيّ يكتبُ في الشؤون الدوليّة، ثم قررتُ بعد هذا بسنة واحدة أن أترك نيكاراغوا إلى أوروبا.

قررتَ العيش في ألمانيا. لماذا؟

اخترتُ هامبورغ كقاعدةٍ لي لأنني تعلمتُ اللغة الألمانيّة في السجن نتيجة إعجابي وتقديري للأدب الألماني، وخاصةً الكتّاب الرومانسيين، نوفاليس وهولدرلن، الذين من دونهم لا يمكن فهم

الأدب الحديث وأدب أميركا اللاتينيّة على وجه الخصوص.

كما كان لديّ صِلة وثيقة عاطفيّة بهامبورغ: فللمدينة امتدادات مع فالبارايسو تعود إلى الأيام البطوليّة للإبحار بالسفن الشراعيّة. وبالمناسبة؛ إنَّ هامبورغ هي المركز الإعلامي الأعظم في أوروبا، ولذا توفرت لي الفرصة للعمل بالصحافة والكتابة للتلفزيون. عملتُ كثيراً في الصحافة، والتي أتاحت لي إمكانيات السفر على نحو واسع وقضاء الكثير من الوقت في أميركا اللاتينيّة وافريقيا. حدث في هامبورغ أن أجريتُ الاتصال الأوّل عام 1982 بجماعة السلام الأخضر. انضممتُ لنضالهم لصالح البيئة. ولمدة خمس سنوات، حتّى 1987، كنتُ أحد البحّارة في واحدة من سفنهم. بعدها، بِتُّ فاعلاً كمنسّق بين فروعهم العديدة.

ماذا عن كتابتك أثناء ذلك؟

لم أتوقف عن الكتابة على الإطلاق. صدرت روايتي الأولى «العجوز الذي يقرأ قصص الغرام» عام 1989، تبعتها الرواية الثانية «العالم عند نهاية العالم». ولقد تمت ترجمتهما إلى لغات كثيرة. كما واصلتُ الكتابة للمسرح.

هل كان العيش في أوروبا أن تغيِّر توجهك حيال أميركا اللاتينيّة؟ هل تشعر أنكَ بِتَّ أكثر بُعداً الآن، أم أشد قُرباً؟

أشعر بأنني أميركي لاتيني على نحو أقوى مما كنتُ عليه عندما

كنتُ أعيش في أميركا اللاتينيّة. ولكنني لا أعتقد بأنه من الضروري أن تجيء إلى أوروبا لكي تكتب أدباً أميركياً لاتينياً. بمقدوري أن أكتب في أي مكان من العالم. فالمسافة، وعليّ أن اعترف، تتيح وتوّفر إمكانيّة النظرة البانوراميّة الشموليّة للقارة، وحقيقة الحياة هناك. ويتمثّل التحدي في هذه الظروف في أن تُبقي نفسك على معرفةٍ كافية تمكنك من فهم التغيرات الحادثة وأسباب تلك التغيرات، الأمر الذي أفعله بعودتي إلى هناك كل سنة - فأنا أملك شبكة معلومات ممتازة في بلدي تتمثّل بأصدقائي الذين يعيشون فيه. ولقد قلتُ ذلك مراراً، إنّ إقامتي في أوروبا لهو حادثٌ سعيد ومستمر وتركَ علامةً عليّ لا تُنْكَر. لقد تشبعتُ بالثقافة الأوروبيّة.

هل أتتكَ تلك المؤثرات المختلفة معاً في الوقت نفسه بطريقةٍ ما؟

الأدبُ واحدٌ لا يتجزأ. والكُتّاب على اختلافهم يسلكون دروباً مختلفة لكنها جميعاً تقود وتؤدي إلى الهدف نفسه. الأدب آصرةُ أُخوّة عظيمة. فجان - ماري غوستاف لي كليزيو، على سبيل المثال، كاتبٌ أوروبي لكنه أمضى قدراً كبيراً من وقته في المكسيك ونظرته تكيّفت بحيث بتنا نعتبره كاتباً أميركياً لاتينياً أكثر من كونه أوروبياً.

أميركا اللاتينيّة قارةٌ من التناقضات والاختلافات الواسعة لكنها، من زوايا معينة، امتدادٌ لأوروبا أيضاً، إنها قارة من المهاجرين. فبورخيس يحيلنا إلى الأميركيين اللاتينيين للجانب

الشمالي من القارة بوصفهم أوروبيون ولدوا في المنفى. طريقتنا في الحياة تتبع النماذج الأوروبيّة. نحن جمهوريون، نحن نقاتل من أجل استقلالنا وسيادتنا السياسيّة، مقتفين في ذلك الثورة الفرنسيّة، ومؤسسو الشعر العظماء في أدبنا الحديث، مثل روبن داريو أو فيسنتي هويدوبرو، إنما هُم أوروبيون ناضجون بما لامجال للإنكار.

ما الذي يدعوك للكتابة؟

أنا أكتب لأنني ببساطة أحبّ الكتابة. أنا لا أريد أن أفعل شيئاً آخر. لقد توقفتُ عن الممارسة الصحفيّة لأتفرغ تماماً للأدب. ربما يبدو هذا جواباً من شخصٍ صاحب امتياز أو فوضوي، لكنني أفعلُ ما أحبُّ فعله وأكسب عيشي مما أفعله.

أنا لا أعتبر الكتابة هِبَةً من الآلهة، امتيازاً ما. الكتابة مجرد عمل! وإنه لأمرٌ يدعوني للضحك حين أسمع عن مؤلفين يشكون من مكابدة المعاناة الكبيرة عندما يكتبون. فإنْ كانوا يعانون كثيراً، لماذا يكتبون إذَن - عليهم أن لا يكونوا مازوشيين يعذّبون أنفسهم!

هل تعيد العمل على كتبك كثيراً؟

نعم، كثيراً. أنا عاملٌ ملتزمٌ جداً ولا أعتبر كتبي منتهيّة إلاّ إذا عاودتُ العمل عليها عشر مرّات على الأقلّ، من البداية حتّى النهاية.

كتبك قصيرة. أهذا خيارٌ مدروس؟ هل ثمة ايقاع تشعر بانك ملزمٌ باتباعه؟

الطول والشكل يعتمدان على القصة التي تريد أن تحكيها. لقد تخلصتُ من خمسين صفحة في بعض رواياتي لأنها اعترضَت الطريق، لأنها قطعت الاندفاع الذي أردته لها.

هل شكّلَ الاهتمام بالبيئة عنصراً تغلَّبَ على الالتزام السياسي الذي كان يَسمُ عديدَ كُتّاب أميركا اللاتينيّة من الجيل السابق؟

هُما متلازمان. ليس بإمكان الأدب تغيير الواقع، لكنه يستطيع أن ينعكس - ينعكس على - مظهرٍ مهم جداً منه. إنّ إعادة اكتشاف العلاقات القائمة بين الكائنات الحيّة وبيئتها إنما هو نِضالٌ سياسيٌ على نحوٍ كبير. بعض كُتّاب الوقت الراهن، مثل باكو تايبو أو رولو دياث، يُعتبرون ملتزمين سياسياً بقدر التزام أسلافهم من كُتّاب الجيل السابق، لكنهم يعالجون المسائل السياسيّة من زاوية الذاكرة التاريخيّة، بالإحالة على ما حدثَ وعلى ما لا ينبغي نسيانه أو تكراره. معالجاتهم الكتابيّة ناقدة، وهي ليست خالية من العاطفة وإنما تحركت بعيداً عن النضاليّة اللامباليّة.

هل تأخذ الجغرافيا ثأرها من التاريخ؟

الثأر الضروري بشدة الآن ما دام النظام العالمي الجديد، رغم ابتعاده عن المواجهة بين الشرق والغرب، يعمل بالمقابل على تأجيج

المواجهة بين الشمال والجنوب على نحو مضطرد وبتسارع.

أميركا اللاتينيّة جزء من الجنوب. نحن لوحدنا، ولكن من الأفضل أن تكون وحيداً من أن تحتفظ بصحبة سيئة. ليس بالإمكان بناء مشروع سياسي في يوم واحد. ينبغي أن يكون تصورنا أو فهمنا للزمن مختلفاً تماماً عن تصور الشمال أو فهمه، ولكننا نملك الوقت.

هل تكتب لتنسى الهمجيّة أم لتعلن عنها وتشجبها؟

كل ما يعنيني ككاتب هو وجوب أن يصل قُرّائي إلى الخلاصات نفسها التي تصل إليها شخصياتي الروائيّة، وهي ملاحظة ما يحدث لها والتفكير به. أحترم حريّة القُرّاء، وليست لديّ بالتأكيد الرغبة في فرض أي أمر عليهم. كل ما أهدف إليه منحهم مادةً للتفكير، وبذلك مساعدتهم على اكتشاف القوانين التي تنظّم العلاقات مع الآخرين، القوانين المحترمة للآخرين بثقافاتهم وعاداتهم، وشحذ قلقهم حيال الآخرين والذي هو أساساً تقليدٌ في مغامرة كتابة القصة.

كيف تفسّر افتتانك بالسفر وبالحدود القصوى للعالم الطبيعي، ببحار الجنوب أو بغابات الأمازون؟

لستُ شخصاً مدينياً. أحبُّ قضاء أوقاتاً معينة في المدن، لكنني أحتاج إلى أن أكون وجهاً لوجه مع القوى في عناصر الطبيعة، لكي

أثبت لنفسي قدرتي على النجاة بمفردي، معتمداً على نفسي، وكذلك لاثبت أيضاً بأنَّ الفردَ قادرٌ على العيش من دون الاعتماد على الدولة.

أو على الناس؟

لا، ليس من دون الاعتماد على الناس. نحن بحاجة للناس دائماً. فالانسان حيوان اجتماعي، لكنه لا ينبغي له الانخراط في علاقات تأسست على الاتكال أو الهيمنة.

انتَ مشهورٌ على نطاق العالم. كيف يؤثر ذلك فيك؟

جاء النجاح كمفاجأة مفرحة، لكنَّ شخصيتي لم تتغيّر. أنا سعيد لامتلاكي حرية الحركة وأن اكون حُراً في تقرير كيف أصرف وقتي، ولكنها، فوق كل شيء، مسؤولية كبيرة عليَّ أن أتحملها. لديَّ موقفٌ أخلاقي حيال الحياة، وموقفٌ جمالي حيال الأدب. وأحبُّ أن يكون الفرق بينهما مفهوماً، ليتمكن القارىء من القول: «أنا أحبُّ كتب سيبولفيدا لكنني لا أوافقه على وجهات نظره»، أو «أنا أحبُّ ما يكتبه، ولذلك أحبُّ أن أعرف وجهات نظره». الأدبُ خَلَاّقٌ إلى ما لا نهاية.

Bernard Magnier: صحفي فرنسي متخصص بالأدب الافريقي.

أُجري الحوار لصالح اليونسكو عام 1998.

المصدر: UNESCO Courier, jan 1998

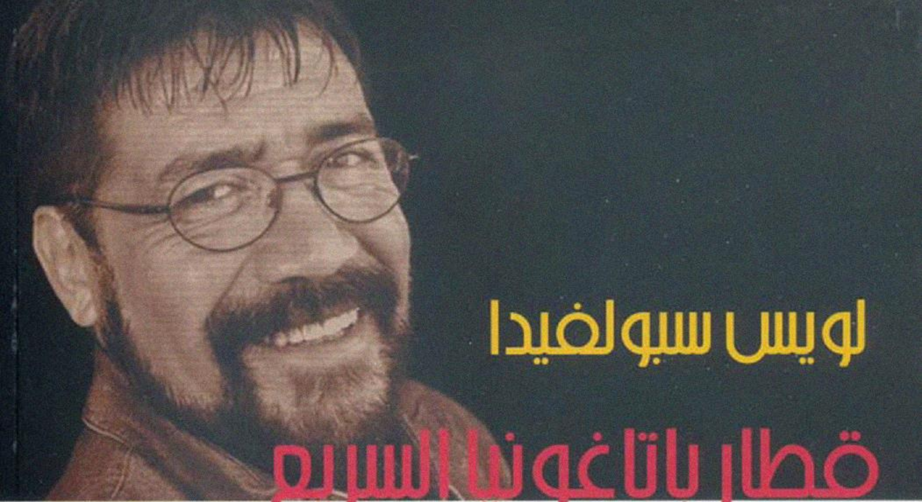
صدر ضمن سلسلة إبداعات

رواية

وصف الماضي : غسان زقطان
سماء بلون الياقوت : أمير تاج السر
دمعتان على خد القمر : محمد سناجلة
ربيع آخر : تاكاشي تسوجي
ترجمة : فخري صالح
دميان : هرمان هيسّه
ترجمة : ممدوح عدوان
ذئب البحار : جاك لندن
ترجمة : عمران أبو حجلة
الموت الجميل : جمال أبو حمدان
خمس رسائل إلى امبراطورية شرقية : ألسدرغراي
ترجمة : سهيل نجم
الغرينغو العجوز : كارلوس فوينتس
ترجمة : الياس فركوح
حفلة القنبلة : غراهام غرين
ترجمة : بتول الخضيري
ماركو ڤالدو : إيتالو كالفينو
ترجمة : منية سمارة
بيت المحرمات : أناييس نن
ترجمة : حنان شرايخة
مقامات لا ثارو : لاثاريو دي تورميس
ترجمة : عبد الهادي سعدون
سوسروقة خلف الضباب : زهرة عمر
قطف الزهرة البريّة : جمال أبو حمدان
قلب الظلام : جوزيف كونراد
ترجمة : صلاح حزيّن
الأعمال الروائية الكاملة : غالب هلسا

نسياً منسياً : زياد بركات
الأضرحة : عزيز التميمي
أن ترى الآن : منتصر القفّاش
كرّاسة كانون : محمد خضيّر
إنجيل الإبن : نورمان ميللر
ترجمة : ثائر ديب
رحلة البحث عن الذات : حسن اللواتي
قميص وردي فارغ : نورا أمين
موت : رشيد بوطيب
رجال بلا بنادق : خالد ياسين
يد الوزير محمد صوف
مثلث بلا أضلاع : فاطمة الحسّاني
وطن السنبلة : أحمد محمد أمين
حرفة القتل : نوربرت غشتراين
ترجمة : سمير جريس
فنان من العالم الطليق : كازو أيشيجورو
ترجمة : هالة صلاح الدين حسين
إكس : كريستيان ڤيلا
ترجمة : مي عبدالكريم
فنانة الجسد : دون ديللو
ترجمة : محمد عيد إبراهيم
ممرات السكون : إقبال القزويني
عندما خرجت من الحلم : علي عباس خفيف
محمد يحبّني : إلينا ريس
ترجمة : محمود عبدالغني
الحارس في حقل الشوفان : ج. د. سالينجر
ترجمة : غالب هلسا
نادي البهجة والحظ : آمي تان
ترجمة : رندة أبو بكر
تراب الغريب : هزاع البراري

كتاب المراحيض : لؤي حمزة عباس
استعراض البابلية : عاطف سليمان
حبر : محمود أبو هشهش
أرض اليمبوس : إلياس فركوح
سفر آخر الليل : يعقوب الخنبشي
صرخة البطريق : حمزة الحسن
خط ساخن : لويس سبولفيدا
ترجمة : محمود عبد الغني
أعمدة الغبار : إلياس فركوح



لويس سبولفيدا

قطار باتاغونيا السريع

قال البعض أنَّ شيفيلدز قُتل. آخرون زعموا أنه ماتَ فوق سرج حصانه بعد إصابته بسكتة قلبيّة بينما ينقّب عن الذهب في مئات الأنهار المتساقطة من بحيرات الأنديان. بصرف النظر عن سبب الوفاة، فلقد عُثر على جسده بواسطة سائقي بِغال بعد عدة أسابيع. يبلغ طوله ستة أقدام ويَزِنُ أكثر من 100 كيلو، وكانت النسور بما فيها نسور الكوندور الأميركيّة الضخمة قد تَغَذَّت عليه. اخترقت ملابسه الشتوية السميكة لتصلَ إلى الأحشاء وعَرَّت الجثة، غير مُبقيّة سوى على المسدسين في يديه. هكذا عرفَ سائقو البِغال أنَّ الهيكل العظمي هيكله هو. وبحسب الأصول المرعيّة عند رجالٍ منعزلين يرتحلون وحدهم، قاموا بتغطيّة البقايا بالحجارة. بقيت العظام هناك عند نهر لاس ميناس حتّى عام 1959، حين قررَ واحدٌ من أبنائه الـ 12 الذين أنجبهم من ماريا بيتشوين، وهي هنديّة فطريّة مابوتشيّة لا يزال اسمها يُرعب السكّان المحليين، أن ينقلها إلى المقبرة في إل بولسيون.

أزمنة

تلفاكس 5522544 6 00962 ص . ب 950252 ، عمّان 11195 الأردن